

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

الاستعمال دائرة على الألسنة فقوة التركيب وحسن السبك هو الذي ظهر فيه الإعجاز وأفحمت فيه البلاغة من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية والثالثة والرابعة وكذلك سائر الألفاظ إلى آخر الآية .

ويشهد لذلك أنك لو أخذت لفظة منها من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لایسة من الحسن والرونق ما لیسته في موضعها من الآية ولكل كلمة مع صاحبها مقام . قال ابن الأثیر ومن عجیب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد كلتاها في الاستعمال على وزن واحد وعدة واحدة إلا أنه لا یحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل یفرق بينهما في مواضع السبك وهذا مما لا یدرکه إلا من دق فهمه وجل نظره . وإذا نظرت إلى قوله تعالى (ما جعلنا لرجل من قلبین في جوفه) وقوله تعالى (رب إنی نذرت لك ما في بطني محررا) رأیت ذلك عيانا فإن الجوف والبطن بمعنی واحد وقد استعمل الجوف في الآية الأولى والبطن في الآية الثانية ولم يستعمل أحدهما مكان الآخر وكذلك قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وقوله (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهید) فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة وإن كانا مختلفین في الوزن ولم يستعمل أحدهما موضع الآخر .

ومما یجری هذا المجرى قول الأعرج من أبيات الحماسة .

(نحن بنو الموت إذا الموت نزل ... لا عار بالموت إذا حم الأجل) .

(الموت أحلى عندنا من العسل ...)